الفصل الخامس

أساليب الضبط الاجتماعى
Moans of Sooial Control

أشرنا عند عرضنا للنظم الاجتماعية كمحددات لأهداف الضبط الاجتماعى الى بعض الأساليب التى تستخدمها وسائط الضبط لتحقيق هذه الأهداف ، وسوف نتناول أهم هذه الأساليب بالشرح لأن معظمها يستخدم لتحقيق أهداف القانون وسوف نناقش هذه الأساليب على أساس تصنيفها الى أساليب مادية وأساليب معنوية ٠

أولا ـ الأساليب المادية :

١ ـ القهر الفيزيقى : أعنى به هنا جعل الجسد الانسانى للمعارضين او للخارجين عن السلوك المرغوب (من قبل الوسيط القائم بعملية الضبط) موضوعا يمارس من خلال التأثير عليه اكراه الأشخاص أو المجموعات على الانصياع لرغبات المجموعة التى تمارس هذا الضغط ٠ ويتخذ هذا القهر صورا مختلفة منها حرمان الجسد من احتياجاته الأساسية (مثل الطعام او الشراب او النوم) ومنها تقييد قدرته على الحركة أو الانتقال (السجن) والحاق الاذى به (الضرب أو التعذيب) ويبلغ القهر أقصى صوره بالقضاء على هذا الجسد كلية (القتل أو الاعدام) ٠ وقد يمارس هذا القهر على أفراد قلائل من أجل اكراههم على التواؤم أو من أجل ردع الآخرين ، وقد يمارس ضد مجموعات كبيرة من الأفراد من أجل القضاء عليهم تماما (مثل ما فعل النازيون) أو من أجل تعديل سلوكهم وقد يستمر لفترات طويلة أو قصيرة ٠ كما يمكن أن يتخذ القهر الفيزيقى شكل تحديد حرية التنقل أو تحديد اقامة مجموعات بأكملها فى مناطق معينة (مثل تحريم خروج المواطنين الأفريقيين عن أحيائهم فى جنوب أفريقيا وتحديد حرية تنقل العرب فى اسرائيل) ٠ وعلى مستوى العلاقات بين البلدان تمثل الحرب محاولة كل من أطراف النزاع قهر الطرف الآخر فيزيقيا ، ويمثل الاحتلال العسكرى والابادة الجماعية للبشر اقصى صور القمع الفيزيقى ٠

وقد عرفت جميع المجتمعات البشرية القهر الفيزيقى كأسلوب للضبط

الاجتماعى ولكن صوره وأهدافه تختلف من مجتمع لآخر كما تختلف الروابط أو المجموعات التى تمارس كلا من هذه الصور ٠

وليس اهتمامنا هنـا بتناول القهر الفيزيقى فى المجتمعات البدائية ولكننا نهتم به أساسا بوصفه أسلوبا لتنفيذ القـانون فى المجتمعات التى يوجد بهـا النظام القـانونى ٠

ويمكننا أن نفرق بين نوعين من القهر الفيزيقى : ما يسمى بالقهر الفيزيقى الرسمى formal physical coercion أو المشروع legitemate والقهر الفيزيقى غير الرسمى او غير المشروع ٠ ونعنى بالأول القهر الذى ينص عليه القـانون الرسمى والذى تكسبه الدولة صـفة الشرعية وتعهد بممارسته الى وسائط أو سلطات رسمية (مثل الجيش أو الشرطة) ٠

أما استخدام القهر الفيزيقى بواسطة المجموعات الاجرامية لتحقيق أهدافها أو لسيطرة عصابة على اخرى فانه يعتبر قهرا غير رسمى وغير مشروع ٠

ويمكننا أن نقرر انه لا يمكن أن يكون للدولة وجود دون استخدام أساليب القهر الفيزيقى (أو التهديد باستخدامها على الأقل) بواسطة وسائط مختلفة مثل الشرطة والجيش ٠ كما نقرر أيضا أن وصف القهر الفيزيقى بانه مشروع أو غير مشروع يعتمد على نوع الوسيط الذى يمارسه ، أى ما اذا كانت له الصفة الرسمية أم لا أو ما اذا كان يتم بموافقة السلطة الرسمية او بدون موافقتهـا ٠

ولكن هنـاك وسائط أخرى تستخدم القهر الفيزيقى ولكن بطريقة غير رسمية (أو غير محددة بدقة كما هو الحال فى القوانين) دون أن يعتبر استخدامها له غير مشروع لأن القوانين او الاعراف تخولها حق استخدام هذا الأسلوب فى حدود معينة ٠ ومثال ذلك القهر الفيزيقى الذى تمارسه الأسرة على أعضائها وخاصة الأطفال ٠ فضرب الأبوين للاطفال أو تحديدهم لحرية حركتهم هو نوع من القهر الفيزيقى حسب التعريف الذى قدمناه له ، ولكنه قهر مشروع وغير رسمى (أى لا تمارسه سلطات حكومية كما أن نوعه ودرجته لا ينص عليها قانون رسمى كما أنه يتم بصفة شخصية) ٠ ولكن اذا وصل هذا الضرب

مثلا الى حد الاصابة أو الايذاء الشديد أو ترتب عليه الموت فانه يصبح غير مشروع اذا كان القانون ينص على عقاب الوالد الذى يفعل ذلك ٠

ونفس الشيء ينطبق على المدرسة كوسيط للضبط الاجتماعى حين تستخدم أسلوب ضرب التلاميذ لفرض النظام مثلا ، ولو أن اللوائح التربوية اصبحت تنص فى كثير من البلدان على عدم جواز استخدام هذا الأسلوب ٠

٢ ـ القهر الاقتصادى : وأعنى به « حرمان الخارجين على أهداف الضبط الاجتماعى من حقوق أو مزايا اقتصادية يتمتع بهـا المسايرون لهذه الأهداف أو ابقاء مجموعات بأسرها فى أوضاع اقتصادية ضعيفة ضمانا للسيطرة عليهم » ويتخذ القهر الاقتصادى صورا مختلفة منهـا الطرد من العمل أو رفض اعطاء فرصة للعمل أصلا ، أو مصادرة الممتلكات أو تدميرها (كما تفعل اسرائيل مع عرب الأرض المحتلة) أو الأجر المنخفض أو توقيع الغرامة المالية أو حتى الحصار الاقتصادى لبلد بأسره ورفض أى تعامل معه وكذلك رفض أو تقييـد التعامل الاقتصادى مع المجموعات الاجتماعية أو الأفراد ٠

ومثلما هو الحال بالنسبة للقهر الفيزيقى يمكننا تصنيف القهر الاقتصادى الى قهر رسمى مشروع وقهر اقتصادى غير رسمى ولكن مشروع وقهر اقتصادى غير رسمى وغير مشروع ٠

والقهر الاقتصادى الرسمى المشروع هو الذى تمارسه أجهـزة الدولة ويسنده القـانون مثل مصادرة الممتلكات والأحياء السكنية لمجموعات كاملة من النـاس أو فرض الغرامات المـالية على مخالفى القـانون أو فرض ضرائب باهظة (كتلك التى كان يفرضها الغزاة والحكام على فلاحى مصر) والنص بالقـانون على أن يكون شـغل وظائف أو أعمال معينة قاصرة على فئة دون غيرها فى المجتمع ٠٠ الخ ٠

والقهر الاقتصادى غير الرسمى ـ المشروع هو الذى يقوم به أفراد أو مجموعات دون أن يعتبر ذلك مخالفا للقانون من جانب السلطات مثل رفض مجموعات اسكان مجموعات أخرى فى أحيائها أو مساكنها أو رفض تشغيلها

و اعطائها أجورا اقل عن الأعمال التى تمارسها (كما يحدث بالنسبة لأجور النساء التى تقل عن اجور الرجال فى بعض بلدان اوربا الغربية وأمريكا على الرغم من أدائهن لنفس العمل) ٠

أما القهر الاقتصادى غير الرسمى ـ غير المشروع فهو الذى يمارسه افراد أو مجموعات مخالفين بذلك القوانين الرسمية مثل نسف المنشآت أو الشركات التى تقوم بهـا التنظيمات السياسية لتحقيق أغراضها وغرض الاثاوى من جانب العصابات الاجرامية ٠٠ الخ ٠

ويجب أن نقرر هنـا أن مشروعية القهر الاقتصادى مسألة نسبية تعتمد على المجموعة التى بيدها السلطة ٠ فما هو مشروع فى وقت ما يصبح غير مشروع اذا تغيرت القوانين بتغير القوة الاجتماعية المسيطرة ٠ فالقهر الاقتصادى الذى تمارسه الطبقة الرأسمالية على الطبقات العـاملة والذى تعتبره الدولة الرأسمالية مشروعا يصبح غير مشروع عندما يتغير النظام الاجتماعى الاقتصادى الى نظـام اشتراكى ، والاستيلاء على الشركات الخاصة وتاميمها لصالح الشعب (الذى تنص القوانين الرأسمالية على عدم مشروعيته) يصبح مشروعا فى ظل النظـام الجديد ٠

ولا يفوتنا أن نشير الى العلاقة بين القهر الفيزيقى والقهر الاقتصـادى فتحقيق القهر الاقتصادى يقتضى فى معظم الحالات قوة يمكنها تنفيذ القهر الفيزيقى اذا لزم الأمر ، كما أن القهر الفيزيقى يهدف الى تحقيق قهر اقتصادى فى احيان كثيرة ٠

ثانيـا ـ الأساليب المعنـوية :

مع أن الأساليب المـادية للضبط الاجتماعى تكون فعالة فى تحقيق أهداف الضبط الا أنهـا تفشل فى احيان كثيرة وتثير ردود أفعال عنيفة اذا استخدمت بشكل مباشر وبكثرة ٠ ولذلك فان المجموعات التى تستخدمها تعمل قدر طاقتها على الاقلال من استخدامها وجعلها الملاذ الأخير الذى تلجأ اليه اذا فشـلت الأساليب الأخرى التى فى متناولها فى تحقيق أهداف الضبط ، بل انهـا حين تستخدمها تحاول أن تضفى عليها صفات أخرى غير صفاتها الحقيقية أو تجعل

الناس لا يشعرون باستخدامها لها • وتدرك كل المجموعات المسيطرة أن اللجوء المستمر الى الاساليب العنيفة يؤدى الى التمرد المباشر الذى يخل بالنظام الذى يريدون له أن يستقر حتى تتحقق مصالحهم ، كما يدركون أن الاستمالة والاقناع وتبنى الأفراد والمجموعات لقيم المجموعة المسيطرة أساليب افضل لتحقيق الضبط الاجتماعى بهدوء وكفاءة • ولذلك فاننا نجد ان الاساليب المعنوية للضبط الاجتماعى أكثر استخداما من الأساليب المادية سواء فى ممارسة مجموعة ما للضبط الاجتماعى على غيرها من المجموعات أو فى ممارسة أى مجموعة الضبط الاجتماعى على أعضائها • فاتباع الناس للقوانين وعدم مخالفتهم لها عن طريق اقناعهم بها افضل من توقيع العقوبة عليهم بعد مخالفتهم • ولكن تظل القوة المادية دائما أسلوبا احتياطيا يلجأ اليه عندما تقتضى الضرورة ذلك • وربما يكون أوضح مثال على ذلك ما طرأ على الاساليب التى تستخدمها الدول الامبيريالية للسيطرة على المجتمعات او الأساليب التى تستخدمها الدول الكبرى فى علاقاتها ببعضها البعض من تغير • فبعد فشل الأساليب العسكرية فى اخضاع الشعوب وما أثارته من ردود فعل عنيفة ومقاومة مسلحة لجأت الدول الامبريالية الى ما يسمى بأساليب الاستعمار الجديد التى تعتمد أساسا على العوامل الايديولوجية والثقافية واحتكار العلم والتكنولوجيا للسيطرة على هذه الشعوب وتحقيق اهدافها ، ولكنها تحتفظ دائما بالقوة الفيزيقية كأداة لفرض ارادتها اذا فشلت هذه الأساليب (مثال ذلك الخطط الأمريكية لاحتلال منابع البترول فى العالم العربى) • وقد ساعد على ازدياد فاعلية الأساليب المعنوية للضبط الاجتماعى التقدم التكنولوجى الهائل الذى طرأ على أدوات الاتصال الجمعى داخل المجتمع وبين بلدان العالم (الراديو والتليفزيون والأقمار الصناعية والسينما والصحافة •• الخ) • وسوف نتحدث فيما يلى عن أهم هذه الأساليب المعنوية للضبط الاجتماعى •

أولا ـ الايديولوجيا :

يقول جوزيف روسك(١) أن للفظ الايديولوجيا تعريفات متعددة • فهى

---

(١) Roucek, opt. ct. p. 185.

تعرف بانها نسق من الأفكار أو المعتقدات يحدد أسلوب مجموعة ما من الأشخاص فى النظر الى الحياة من حيث تطلعاتها واخلاقياتها وقوانينها وفلسفتها • ويعرفها بعض المؤلفين بأنها نسق من الأفكار التى تحدد السلوك الاجتماعى فى وقت ما ويختلف هذا النسق من مجموعة لاخرى • ويتبنى روسك تعريف الايديولوجيا بأنها « نظرية عن الحياة الاجتماعية تتناول الواقع الاجتماعى وتفسيره شعوريا على أساس مثل عليا نتبناها مجموعة ما من أجل تبرير هذه المثل » • ويرى روسك ان ايديولوجية طبقة اجتماعية ما او مجموعة اجتماعية ما تؤدى دورا فى المجتمع يشبه الدور الذى يؤديه تصور الفرد لذاته فى شخصية هذا الفرد • فمثلما يحدد تصور الفرد لذاته « فكرته عن نفسه » افعاله فى المستقبل واختياره لمهنته مثلا فان الايديولوجية فى مجتمع ما توجه وتضبط الأفعال الجماعية فيه •

ويعرف تشسنوكوف الايديولوجية فى كتابه « المادية التاريخية »(١) بانها الآراء الاجتماعية والنظريات التى تعطى صورة عامة عن الحياة ، وتشمل هذه الاراء والنظريات الجوانب السياسية والتشريعية والجمالية والأخلاقية والفلسفية •• الخ • وتعكس الايديولوجية فى مجتمع ما الوجود الاجتماعى بصفة عامة أى العلاقات الانتاجية وتبرر ضرورة هذه العلاقات وتفسر تطور الانسانية من وجهة نظر الطبقة التى يهمها المحافظة على علاقات انتاجية معينة وفى المجتمعات الطبقية (مثل البورجوازية) نجد ايديولوجية لكل طبقة ، ولكن الايديولوجية السائدة تكون ايديولوجية الطبقة المسيطرة اقتصاديا وسياسيا والتى تحاول دائما جعلها الايديولوجية العامة للمجتمع وجعل الطبقات الخاضعة تتبناها • ومع نمو الوعى الطبقى للطبقات المستغلة وتفصل جهود المثقفين الذين يساندونها تظهر ايديولوجية للطبقة العاملة تكون موجها لها فى صراعها ضد الطبقات المستغلة • ومثلما تحاول الطبقة المسيطرة فرض ايديولوجيتها بشتى الوسائل تحاول فى نفس الوقت أن تحول دون انتشار ايديولوجية الطبقات التى تسيطر عليها • وتحقق الطبقة المسيطرة هذه الأهداف من خلال وسائط عامة تسيطر عليها مثل :

---

(١) Chsenokov. opt. Ct. p. 365.

١ ـ الاذاعة المسموعة (الراديو) والمرئية (التلفزيون) :

منذ اخترع ماركونى الارسال اللاسلكى سنة ١٨٩٦ ومع تزايد انتشار محطات الاذاعة فى العالم وحيازة الأسر لأجهزة الراديو اصبح للاذاعة دور كبير جدا فى الضبط الاجتماعى ، وهى من اهم وسائط الضبط فى المجتمعات الحديثة ومن خلالها يتم نشر ايديولوجية الطبقة التى تسيطر عليها (أى التى تمتلكها وتديرها مباشرة أو من خلال أجهزة الدولة المسئولة عنها) . وتتزايد أهمية الاذاعة بالمقارنة لاهمية الصحف فى البلدان التى تنتشر فيها الأمية . ويشترك مع الراديو فى أهمية التأثير الآن التلفزيون .

ويتم نشر الايديولوجية السائدة (الرأسمالية فى الغرب والاشتراكية فى الشرق)من خلال هذين الوسيطين (الراديو والتلفزيون) بطرق مختلفة منها المحاضرات أو الأحاديث السياسية والاجتماعية والفلسفية والأخلاقية المباشرة ومنها التمثيليات والمسرحيات بما تتضمنه من قيم وانماط سلوكية تشجع فى هذه الاعمال أو تكون مثارا للسخرية ، والأغانى بما تتضمنه من معان والاحتفالات الرسمية وصياغة الأنباء والتحليلات الاخبارية بما يتلاءم والتأثير الذى ترغب الجهات المشرفة على اعدادها فى أحداثه لدى المستمعين والمشاهدين والاعلانات التى تتخلل الفقرات الاذاعية .. الخ ، وبالطبع لا يتاح استخدام هذه الوسائط للمجموعات المعارضة للسياسة العامة للدولة أو لمصالح الطبقة الحاكمة والتى لا تملك وسائط مشابهة ، وان كان يتاح استخدامها للمجموعات الفرعية داخل الطبقة الحاكمة المعارضة لبعض البرامج التى تقدمها المجموعة التى بالحكم مما يوحي بالديمقراطية .

٢ ـ الصحافة :

تلعب الصحافة أيضا دورا هاما فى نشر الايديولوجية فى المجتمع وفى الضبط الاجتماعى وخاصة فى المجتمعات التى ترتفع فيها نسبة المتعلمين . وبالطبع تنشر الصحافة ايديولوجية أصحاب دور الصحف ومن يمثلونهم . وغلبية دور الصحف والنشر فى البلدان الراسمالية يمتلكها الرأسماليون ولكن يوجد الى جوارها بعض الصحف التى تملكها وتمولها التنظيمات العماليه

والثورية . أما فى البلدان الاشتراكية فان ملكية دور النشر جميعا (مثل ملكية وسائل الانتاج) ملكية جماعية وتديرها وتشرف عليها الدولة . ويتم نشر الايديولوجية كأسلوب للضبط الاجتماعى باستخدام طرق عديدة منهـا كيفية صياغة الأنباء والتحكم فيما ينشر أو لا ينشر منهـا والتحليلات الاخبارية والمقالات السياسية وغيرها ، والقصص والروايات بما تعبر عنه من قيم . كما تنشر هذه الايديولوجيات بطريق غير مباشر عن طريق التركيز على نوع معين من المـادة التى تقدم للقراء وكيفية تقديمها ، فمثلا يمكن نشر أحد المبادىء الايديولوجية التى تخدم البورجوازية مثل مبدأ الفردية والاهتمام بالمصالح الشخصية واغفال الاهتمام بالمسائل الاجتماعية العـامة والملحة عن طريق الاثارة بنشر أنبـاء الجرائم بالتفصيل أو شـغل أذهان النـاس بقضايا فرعية جدا أو نشر روح التفكير الخرافى بينهم أو نشر قصص النجاح الفردى لأشخاص معينين وتقديمهم كمثل أعلى للناس ، أو حتى الاثارة الجنسية . كما يمكن نشر القيم الاستهلاكية والتطلعية بين أفراد المجتمع من خلال تقديم نماذج لشخصيات معينة وما لديها من أشـياء . ولا تتورع مثل هذه الصحف عن اللجوء الى تزييف الحقائق أو حجبها عن الناس . وهى تلجأ أيضا الى تخدير الأفراد بتشجيعهم على أحلام اليقظة وبث أوهام كاذبة عن المستقبل فى نفوسهم . وتتبع هذه الصحافة كافة الوسائل لمحاولة هدم الايديولوجية المعارضة لايديولوجيتها والضـارة بمصالحها ومن هذه الوسائل وصم أفكار هذه الايديولوجية المعارضة بكافة الوصمات التى تنفر النـاس منها . ومن يدرس الصحافة المصرية منذ نشأتها حتى الآن يستطع أن يدرك بوضوح اذا حلل مضمون وأسلوب المـادة التى تنشرها أنواع الايديولوجيات التى عبرت عنها فى كل مرحلة من مراحل تاريخ المجتمع المصرى خلال هذه الفترة ، كما يستطيع أن يستخلص أهداف الضبط الاجتماعى الذى تحاول أن تمارسه . ويحتاج الطالب للوصول الى هذا الفهم أن يدرس عدة عوامل :

١ ـ الظروف الاجتماعية الاقتصادية السـائدة فى فترة ما وطبيعة القوى الاجتماعية فى المجتمع .

٢ ـ ملكية دور الصحف .

٣ ـ المجموعة الاجتماعية التى تعبر عنهـا ٠

٤ ـ انتماءات الكتاب السياسية والاجتماعية ٠

٥ ـ تحليل مضمون المـادة التى تنشرها الصحف المختلفة للوقوف على ما تدعو اليه من قيم وما تبثه من معايير سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ٠

٦ ـ تحليل أسلوب تقديم المـادة للقراء ٠

والصحافة مثل الراديو والتليفزيون تلعب دورا هاما فى تحديد استجابة الناس للقوانين التى تصدرها الدولة والتى تنشر أيضا من خلالها وتقدم بكيفية معينة للناس للتأثير عليهم لتقبلها ٠

٣ ـ السـينما :

يقول روسك فى مقدمة الفصل الذى كتبه عن السينما فى كتابه « الضبط الاجتماعى » « أن الناس فى العالم كله يعرفون أمريكا من خلال الصـورة التى تقدمها لهم الأفلام التى تنتجها هوليـود عن الحياة فى أمريكا وليست هوليـود هى أكبر سفير لأمريكا فى الخارج فحسب ولكنها تؤثر تأثيرا ضخما على انماط السلوك لدى الجمهور الأمريكى نفسـه ٠٠ » ٠

ويقرر روسك أن الأفلام السينمائية وسيلة فعالة لضبط اتجاهات وسلوك ملايين الامريكيين ويرجع ذلك الى ثلاثة أسباب رئيسية :

١ ـ عدم ادراك رواد السينما لحقيقة أنهم يتأثرون بالأفكار والقيم التى تقدمها هذه الأفلام ٠

٢ ـ يضع الناس انفسهم فى موضع ابطال الفيلم ويتقبلون بطريقة لا شعورية الاتجاهات التى يعبرون عنها والادوار التى يقومون بهـا ٠

٣ ـ الأفراد الذين يعانون من المشاكل المختلفة يتقبلون بطريقة شعورية أو لا شعورية الحلول التى تقدمها الأفلام كحلول لمشكلاتهم ٠

كما يذكر روسك أن الأفلام السينمائية تمثل طريقة مثالية من طرق الدعاية لأن المشاهدين يكونون واقعين تماما تحت تأثير الأفلام أثناء مشاهدتها

كما أن مشاهدة الفيلم تقتضى أن يعطيه المشاهد كل اهتمامه لأنه ليس هناك ما يشتت هذا الاهتمام كما أن تأثير الصوت والصورة معا يكون عظيما على المتفرج • وقد أجريت دراسات سيكولوجية عديدة على تأثير الأفلام السينمائية على تغيير الاتجاهات وبينت أن الأفلام وسيلة فعالة فى ذلك ، كما وجد أنها تلعب دورا هاما فى احداث جناح الأحداث والجريمة • ويقرر روسك أن الهدف الأساسى لصناعة السينما فى أمريكا هو الربح ، وهى من الصناعات الكبرى التى يبلغ حجم الاستثمارات فيها عدة بلايين من الدولارات • ولذلك فانها تتجه الى انتاج الأفلام التى يقبل عليها الجمهور والتى تتضمن مختلف أنواع الاثارة •

ولكن على الرغم من ادراك روسك للآثار الخطيرة للافلام السينمائية الا انه ينفى وجود أى نوع من القصد أو المؤامرة لدى أصحاب هذه الصناعة لاحداث هذه الآثار الهدامة ولا يحاول الربط بين القيم والاتجاهات والانماط السلوكية التى تروج لها السينما وبين الرأسمالية الأمريكية ومصالحها (سواء مالكة صناعة السينما أو غيرها من الصناعات) •

وموضوع السينما يهمنا كثيرا بوصفها وسيلة هامة من وسائل نشر الايديولوجيا فى العالم ومن حيث آثارها الخطيرة على مجتمعنا ، وخاصة ان الأفلام الأمريكية تغزو دور العرض عندنا كما يسترشد بها كثير من السينمائيون عندنا عند انتاج أفلامهم المصرية •

ان السينما فى المجتمعات الأمبريالية تنشر اساسا وبأكثر الأساليب العلمية والفنية والتكنولوجية الأهداف الامبريالية ليس داخل المجتمع الرأسمالى فقط ، ولكن فى المجتمعات الأخرى ، وخاصة مجتمعات العالم الثالث • انها من أخطر الوسائل فى الضبط الاجتماعى للجماهير • وعلى عكس ما يقوله روسك هناك تخطيط واع ورقابة صارمة على السينما سواء فى أمريكا او فى غيرها ، فالمنتجون السينمائيون رأسماليون كبار ويهمهم الربح فى المقام الأول كما يهمهم الدفاع عن النظام الرأسمالى بشتى الوسائل وهم يتعاونون مع الدولة ومع الهيئات السياسية بل ومع أجهزة المخابرات ، والرقابة على الأفلام

السينمائية تكون من جانب الدولة التى تمثل فى الأساس مصالح الطبقة الحاكمة ، كما ان القوانين التى تحكم هذه الرقابة تسنها اجهزة الدولة وهى التى تنفذها صحيح انه من آن لآخر تجد أفلاما سينمائية فى البلدان الرأسمالية تدافع عن الطبقة الكادحة أو تهاجم الرأسماليين ولكن ذلك يتم داخل حدود معينة كما انه يهدف أحيانا الى خداع الجماهير وايهامها بالديمقراطية وامتصاص شحناتها الانفعالية ، أى ان ذلك يكون وسيلة للتنفيس • واذا استشعرت السلطات أى خطر من عرض فيلم ما فانها تتدخل على الفور لمنع عرضه او لتشويهه بحذف أجزائه الهامة •

والسينما تضبط الاتجاهات والقيم والسلوك بوسائل متعددة ، اما عن طريق مضمون الفيلم وما تضمنه من قيم واتجاهات وخصائص الأبطال سلبا واما عن طريق استثارة الجنس واستغلال العنف والجريمة بحيث تصرف الاذهان عن الاهتمام بالقضايا الهامة فى المجتمع •

والأفلام السينمائية تمثل موضوعا هاما للدراسة والبحث يجب ان يهتم به طلاب علم الاجتماع فى مصر ، كما أننا يجب ان نهتم فى ميدان علم الاجتماع القانونى بدراسة القوانين التى تحكم الانتاج السينمائى وعلاقة هذه القوانين ببناء القوة فى المجتمع ودور الرقابة على المصنفات الفنية فى تحديد نوعية ما تدعو اليه الأفلام من قيم وما تنشره من اساليب سلوكية • ويمكن للطالب ان ينتقى بعض الأفلام السينمائية التى تعرضها دور السينما ويعرضها التلفزيون ويقوم بتحليل لمضمون هذه الأفلام من أجل التعرف على ما تدعو اليه من قيم وانماط سلوكية وما تهتم به من موضوعات وما تغفله ، كما يمكن أن يجرى بحثا عن آثار هذه الأفلام على مجموعات مختلفة من المشاهدين •

هذه اهم الوسائل التى تستخدم لنشر الايديولوجية كأسلوب للضبط الاجتماعى فى المجتمعات الحديثة المعاصرة وقد اهتممنا بمعالجتها بصفة خاصة لما لها من صلة مباشرة بالقانون سواء من حيث القوانين التى تنظمها او من حيث تأثيرها على استجابات الناس للقانون • ويجب ان نشير

هنا الى أننا لا نعنى الايديولوجية السياسية فحسب ولكن كافة انواع الايديولوجيات عن طريق ترجمتها الى قيم وأهداف ومعايير وأساليب سلوكية تتضمنها المادة التى تقدمها ، وبالتالي فان تأثير هذه الوسائل الثلاث يمتد ليشمل كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية بمختلف جوانبها : السياسية والأسرية والتربوية والاقتصادية والترفيهية ٠٠ الخ ٠

وهناك أساليب أخرى كثيرة لنشر الايديولوجية مثل الكتب الهزلية والثقافية والروايات والقصص والفن والأدب ويمكن تحليلها جميعا تحليلا اجتماعيا للوقوف على ما تدعو اليه من قيم وأهداف وما تشجعه أو لا تشجعه من أساليب سلوكية ٠

ثانيا ـ الدعاية :

تعرف الدعاية بأنها « الجهد الواعى والمقصود لضبط سلوك وعلاقات المجموعات الاجتماعية من خلال استخدام طرق تؤثر على مشاعر واتجاهات الأفراد الذين تتكون منهم هذه المجموعات » ٠ وتسير الدعاية وفقا لخطط مرسومة وليس بطريقة عشوائية ، وقد أصبحت الدعاية الآن تتبع أحدث الاساليب العلمية وتوجه بناء على دراسات تفصيلية لأهدافها وللحالة النفسية والفكرية للموجهة اليهم وانسب الطرق للتأثير عليهم مع تحديد دقيق للأهداف التى يراد تحقيقها منها ٠ والدعاية توجهها الدولة ليس فقط داخل مجتمعها ولكن تجاه المجتمعات الأخرى (كما يحدث بصفة خاصة اثناء الحروب العسكرية واثناء الحرب الباردة ومن أجل فتح أسواق جديدة لمنتجاتها واستمالة الأفراد والمجموعات لسياستها) كما توجهها مختلف المجموعات داخل المجتمع الى مجموعة أو مجموعات أخرى ٠ ولكن قوة تأثيرها ومدى فعاليتها تتوقف على ما تتمتع به هذه المجموعة من قوة وما هو لديها من امكانيات لنشرها وعلى الظروف التى تتم فيها الدعاية ٠ وتهدف الدعاية التى تقوم بها مجموعة ما الى التأثير على سلوك الأمراد أو المجموعات التى تؤثر أفعالها على مصالح هذه المجموعة وسلامتها أو على مصالح المجتمع ككل (مثل الدعاية التى تقوم بها وزارة الصحة مثلا للحد من انتشار الأمراض) ٠

وللدعاية أهداف متعددة أهمها استبدال مشاعر واتجاهات قائمة بمشاعر واتجاهات مخالفة لهـا أو خلق مشاعر واتجاهات لم تكن قائمة من قبل ٠ كما أن الدعاية قد تكون ذات أهداف سـلبية أى تسـعى الى اضعاف أو تفكيك المجموعات الموجهة اليها ٠ وقد تكون ذات أهداف ايجابية (من وجهة نظر القـائم بالدعاية) أى تسـعى الى تقوية وحـدة وتماسك المجمـوعات الموجهة اليهـا ٠

ويلجأ القائمون بالدعاية الى استخدام طرق متعددة لتحقيق أغراض منهـا :

١ ـ الربط بين ما يدعون اليه وبين التقاليد السائدة فى مجموعة ما بحيث يبدو ما يدعون له متفقا تماما ومدعما لهذه التقاليد ٠

٢ ـ اضفاء طابع انفعالى على القيم أو السلوك الذى يروجون له مما يسهل تقبل الأفراد المجموعة له ٠

٣ ـ استغلال قابلية فئات معينة للايحاء وعدم القدرة على التفكير النقدى (مثل الأميين) ٠

٤ ـ المغالطات المنطقية بحيث يبدو ما يراد تحقيقه من الدعاية مقنعا ٠

٥ ـ استخدام الأكاذيب المتقنة وخاصة التى يكون بها جزء من الحقيقة ٠

٦ ـ استغلال الجو النفسى العام فى المجموعة (مثل الخوف أو التفاؤل أو التشـاؤم) ٠

٧ ـ استخدام كافة أنواع الرموز والشعارات بل حتى الموسيقى لمـا لهـا من تأثير مكثف على عقول الأفراد ٠

بالطبع يكون تأثير هذه الأساليب الدعائية قويا على المجموعات الضعيفة والأمية ٠ ولذلك تهـدف بعض الحكومات التى تمثل مصـالح الطبقات الاستغلالية الى بقاء الطبقات العاملة فى حالة دائمة من الأمية وانخفاض مستوى التعليم ، وتقضى على أى قيادات أو تنظيمات تظهر فيها حتى يسهل عليها دائما السيطرة عليهم بوسائلها المختلفة بما فى ذلك الدعاية ٠

ولا تلجأ المجموعات الى استخدام الطرق السابقة فى حملاتها الدعائية ، ذلك أن طبيعة المجموعة الاجتماعية وطبيعة اهدافها هى التى تحدد استخدام كل من هذه الأساليب ، فجمعية مثل الهلال الأحمر مثلا يمكن أن تشن حملة دعائية لجمع التبرعات لرعاية المرضى أو المعوقين تلجأ فيها الى مخاطبة عواطف الجماهير ، ولكنها لا تلجأ الى الكذب أو استغلال الظروف النفسية للناس • وفى الحرب التى كانت دائرة بين أمريكا وفيتنام مثلا كانت الدعاية الأمريكية تستخدم كافة الأساليب اللا اخلاقية بينما كانت الدعاية الفيتنامية تكشف الاكاذيب الأمريكية وتعتمد على وسائل ايجابية واخلاقية لحث الجماهير على القتال •

ثالثا ـ السخرية والازدراء والتجاهل والمقاطعة والتشهير :

وهى أساليب سيكولوجية للضبط الاجتماعى تمارسها بصفة أساسية المجموعات على أعضائها وكذلك المجموعات على غيرها • وقد تلجا اليها وسائل الاعلام (كالصحافة والاذاعة والتلفزيون) لمواجهة قيم وتصرفات من جانب افراد أو مجموعات يرى المسيطرون عليها أنها تهدد مصالحهم وتزداد أهمية وفعالية هذه الأساليب فى الجماعات المحلية أو المجموعات التى تسود فيها العلاقات الشخصية والأولية •

رابعا ـ المثوبات المعنوية :

ان المدح والثناء والتشجيع والشهرة من وسائل الضبط الاجتماعى التى تشجع على اتباع معايير توافق عليها المجموعة وعلى اتباع انماط سلوكية ترغب فيها • فمنح المكافآت والأوسمة والميداليات •• الخ • تستخدمه المجموعة الاجتماعية دائما لحث أفرادها على تحقيق الأهداف العامة والحيوية للمجموعة أو للمجتمع ككل • وهذه الأساليب من أهم الأساليب التى تستخدمها مجموعة الاسرة والمدرسة والعمل الى جوار غيرها من الأساليب المعنوية والمادية ، كذلك تستخدمها التنظيمات أو الجمعيات غير الرسمية • وحرمان الأفراد من هذه المثوبات المعنوية يمثل وسيلة سلبية لتحقيق الضبط الاجتماعى: ومن امثلة المثوبات المعنوية البارزة : مسابقات الأم المثالية والطالبة أو الطالب المثالى وجوائز وأوسمة العلم والفن والأدب •• الخ •